نبذة عن الرواية

روبرت ميناسا

العاصمة

الرواية الأوربية العظيمة

روبرت ميناسا: وصية لعصر يدفع إلى الإحساس بالعار

بروكسل.

تتعرض فينيا كسينوبولو الناجحة مهنيا لانتكاسة وظيفية، فقد تم "ترقيتها" من قِبل إدارة المؤسسة، وذلك بنقلها إلى القسم الثقافي – بلا ميزانية، بلا نفوذ، بلا شهرة، هكذا جاء "مشروع الاحتفال باليوبيل" في الوقت المناسب تماما بالنسبة لها، عليها أن تقوم بتلميع صورة المفوضية الأوربية، ينصحها مساعدها الشخصي نمساوي الأصل مارتن سوسمان بإعلان مدينة أوشفيتس كمنشأ للمفوضية الأوربية، تنال الفكرة استحسان فينيا إلا أنها أثناء ذلك لم تأخذ الدول الأوربية الأخرى بعين الاعتبار، النمسا: معسكر اعتقال نازي في بولندا يساء استخدامه من أجل تشويه سمعة الشعب النمساوي: مستحيل، بولندا: أوشفيتش مشكلة ألمانية، ألمانيا: الإسلام، في الوقت الحالي جزء من ألمانيا ليس له علاقة من بعيد أو قريب بأوشفيتس، بالإضافة إلى ذلك لم يعد بوسع فينيا أن تعول على ديفيد دو فريون، أحد آخر شهود العيان الناجين من أوشفيتس: فقد ذهب في الوقت الخطأ إلى محطة مترو مالبيك.

كذلك المفتش برونفو في وضع لا يحسد عليه، فقد تم منعه من استكمال التحقيق في قضية قتل وصل فيها لمستوى عالي من كشف الأدلة، إلا أنه لحسن الحظ تربطه علاقة صداقة بخبير الكمبيوتر الرئيسي لشرطة بروكسل والذي أتاح له الدخول إلى الملفات السرية للنيابة العامة للدولة، ماتك، القاتل البولندي لا يعلم أي شيء عن هذا كله عند هروبه، لكن هناك شيء واحد جلي بالنسبة له: أنه أطلق النيران على الشخص الخطأ، إلا أن ذلك لا يزعجه البتة، فقد كان يتمنى أن يصبح رجل دين، إلا أن أمنية أبيه وجده أن يصير مثلهما "جندي من جنود المسيح" لا تجعله سعيدا في الواقع.

نعم، هناك آخرون ليسوا سعداء أيضا: مربيو الخنازير الذين نزلوا إلى الشوارع حاملين المذاري اعتراضا على القيود التجارية التي تحظر عمليات التصدير المربحة لآذان الخنازير إلى الصين.

بروكسل. بانوراما الأبطال الدراميين، فاشلون متلاعبون، عقد نفسية لا ذنب لهم فيها، في أحدث روايته يفتح روبرت ميناسا قوسا بعيد المدى بين الأزمنة، الشعوب، بين المحتوم وسخرية القدر، بين البيروقراطية الحقيرة والمشاعر العظيمة.

روبرت ميناسا

العاصمة

رواية

دار نشر زوركامب

٢٠١٧

"السعادة تكمن في الحلم، والحياة فترة انتظار"

فيكتور هوجو

مقدمة

هناك يركض خنزير! رآه ديفيد دو فريون عندما فتح نافذة من نوافذ غرفة المعيشة بهدف إلقاء نظرة على الميدان للمرة الأخيرة قبل أن يغادر هذا المسكن للأبد، لم يكن إنساناً عاطفياً، لقد ظل يقطن هنا لمدة ستين عام، ستين عام ينظر لهذا الميدان، والآن يضع نهاية لذلك، انتهى الأمر، كانت تلك عبارته الأثيرة – في أي وقت عليه فيه أن يروي، يخبر، يؤكد شيئا يقول جملتين أو ثلاثة ثم بعدها: "انتهى الأمر"، تعد هذه العبارة بالنسبة إليه الخلاصة المقبولة الوحيدة لكل لحظة أو مرحلة من مراحل حياته، كانت شركة النقل قد حملت المتاع القليل الذي اصطحبه إلى العنوان الجديد، متاع – لفظ غريب إلا أنه بلا وقع مؤثر عليه، ثم جاء بعد ذلك رجال شركة التخلص من الكراكيب من أجل إزالة كل ما تبقى، ليس فقط كل ما هو ليس مثبتاً وإنما أيضا جميع البُرشام/ وصلات التثبيت والمسامير، لقد نزعوا، فصلوا، نقلوا كل شيء للخارج حتى أصبح المسكن نظيفا تماما كما يجب أن يكون، كان دو فريون قد صنع لنفسه قدحا من القهوة وقتما كان الموقد موجودا وآلة صنع الإسبريسو قائمة وهو يراقب الرجال محاذرا ألا يعرقل طريقهم، ظل لمدة طويلة ممسكاً بقدح القهوة الفارغ في يده، تركه أخيرا يسقط في كيس قمامة، ثم انصرف الرجال، المسكن خاوي، نظيف تماما، انتهى الأمر، تبقى نظرة أخيرة من النافذة، لم يكن هناك بالأسفل شيء لا يعرفه، والآن عليه الانتقال من المسكن، فقد حل زمن جديد – والآن رأى ... حقا: هناك بالأسفل خنزير! في قلب مدينة بروكسل، في سانت-كاترين، لابد أنه قد أتى من طريق دو لابري، يركض بامتداد سور البناء أمام البيت، انحنى دو فريون خارج النافذة وشاهد كيف ركض الخنزير الآن إلى اليمين عند منعطف طريق دو فيوه مارشيه أوه جران، متفاديا بعض المارة تقريبا أمام سيارة أجرة.

على إثر استخدام مكبح الطواريء اندفع كاي-أوفا فريج إلى الأمام ثم ارتد في المقعد إلى الخلف، تقلص وجهه، جاء متأخرا للغاية عن موعده، في مزاج عصبي، ما الذي حدث الآن ثانيا؟ لم يكن في الحقيقة متأخرا للغاية، كان الأمر فقط هكذا أنه يهتم دوما في جميع لقاءاته بالتواجد في المكان

عشر دقائق قبل الموعد المتفق عليه، بالأخص في الأيام الممطرة وذلك من أجل إعادة إصلاح هيئته سريعاً في المرحاض، الشعر المبلل بماء المطر، النظارات التي تقطر ماءا وذلك قبل قدوم الشخص الذي هو على موعد معه –

خنزير! هل رأيتم ذلك يا مسيو؟ هتف قائد سيارة الأجرة، لقد قفز تقريبا أمام السيارة! انحنى بشدة فوق عجلة القيادة: هناك! هناك! هل ترونه؟

الآن أبصره كاي-أوفا فريج، مسح بظهر يده سطح الزجاج، ركض الخنزير بعيدا إلى جانب الطريق، لمع الجسد المبلل للحيوان بلون وردي متسخ في ضوء المصابيح، نحن هنا، مسيو! لا يمكنني الاقتراب منه بسيارتي أكثر من ذلك، هكذا إذن! خنزير يكاد يركض داخل سيارتي! فأل حسن، هذا فقط ما يمكنني قوله في هذا الموقف!

جلست فينيا كسينوبولو في مطعم مينيلا إلى الطاولة الأولى بجانب النافذة الكبيرة وهي ترنو إلى الميدان، كانت تشعر بالغضب أنها جاءت قبل موعدها بوقت طويل، ليس من اللائق أن تكون جالسة هنا منتظرة عندما يأتي، كانت تشعر بالتوتر، فقد خشيت أن يكون هناك زحام بالطريق بسبب الأمطار فحسبت للطريق وقتا أطول مما يحتاج، الآن تجلس بالفعل مع مشروب الأوزو الثاني، يحوم النادل حولها فتحدث حركة جسده طنينا يشبه دبور مزعج، حدقت في الكأس ووجهت لنفسها أمرا ألا تمسه، أحضر النادل دورق مياه جديد، ثم أحضر صحنا صغيرا به زيتون - وقال: خنزير!

ماذا؟ رفعت فينيا نظرها، رأت النادل يتطلع في ذهول إلى الميدان بالخارج، والآن أبصرته: ركض الخنزير صوب المطعم، في سرعة مثيرة للضحك، هذه الأرجل القصيرة التي تهتز إلى الأمام وإلى الخلف تحت الجسد المستدير الثقيل، فكرت أولا أنه كلب، أحد تلك الوحوش المثيرة للاشمئزاز التي

يتم إطعامها جيدا من قِبل الأرامل، لكن – كلا لقد كان خنزيراً بحق! كأنه من كتاب مصور، رأت المنخار، الأذنين، كخطين، كملامح محددة، هكذا يُرسم الخنزير للأطفال، أما هذا فيبدو أنه أفلت من كتاب رعب للأطفال، لم يكن خنزيرا برياً، كان متسخاً لكنه بكل وضوح خنزير مزرعة وردي اللون، به شيء من جنون، شيء يهدد بالخطر، انسابت مياه الأمطار على النافذة إلى الأسفل، غامت الرؤية أمام فينيا كسينوبولو وهي تنظر كيف توقف الخنزير فجأة أمام بعض المارة بأرجل مفرودة، انزلق، ألقى بنفسه إلى جانب الطريق، انحرف نحو وجهة ثانية، أفسح لنفسه طريقا مرة أخرى وأسرع عائدا، في تلك المرة باتجاه فندق أطلس، في هذه اللحظة كان رايزارد أوزفيكي يغادر الفندق، حرص بالفعل عند خروجه من المصعد أثناء اجتياز بهو الفندق على شد غطاء رأس معطفه أعلى هامته، خطا الآن للخارج إلى الأمطار، في عجالة، لكن ليس في سرعة زائدة، لم يكن يريد إثارة الانتباه إليه، كان المطر بمثابة عامل حظ: غطاء الرأس، خطوة سريعة، كان ذلك في تلك الأجواء عاديا تماما وليس لافتاً للأنظار، لن يستطيع أحد أن يشهد لاحقا أنه شاهد رجلا يهرب، تقريبا في عمر كذا، يُقدر طوله بكذا، ولون المعطف - بالطبع، إنه يعرف اللون كذلك أيضا .. اتجه بسرعة إلى اليمين، فسمع حين ذلك هتافات منفعلة، صراخ وصوت لهاث غريب الصرير، توقف قليلا في المكان، نظر وراءه، الآن لاحظ الخنزير، لم يستطع تصديق ما رآه، هناك يقف خنزير بين اثنتين من تلك الدعامات الحديدية التي تحيط بمدخل الفندق، وقف هناك مطأطئ الرأس، في وضع الثور قبل انتقاله لمرحلة الهجوم، كان به شيء يثير الضحك، إلا أنه في الوقت ذاته ينذر بالخطر، بدا الأمر مثيرا للحيرة تماما: من أين جاء هذا الخنزير، كيف وقف هناك؟ تولد لدى رايزارد أوزفيكي انطباع أن كل مظاهر الحياة في هذا الميدان، على الأقل للمدى الذي يراه فيه الآن قد تحجرت وتجمدت، عكست أعين الحيوان الصغيرة لمعان ضوء النيون الخاص بواجهة الفندق – هنا بدأ رايزارد أوزفيكي يركض! ركض مبتعدا عن المكان باتجاه اليمين، تطلع مرة أخرى إلى

الخلف، شد الخنزير رأسه إلى أعلى وهو يزفر، رجع بعض خطوات للوراء، التفت وركض بعرض الميدان، إلى الجهة المقابلة نحو صف الأشجار أمام المركز الثقافي الفلمنكي دو ماركتن، تابع المشاة المراقبون المشهد بأعينهم الخنزير وليس الرجل صاحب غطاء الرأس – والآن أبصر مارتن سوسمان الحيوان، كان يقطن البيت المجاور لفندق أطلس، فتح في تلك اللحظة بالذات النافذة بهدف تهوية المكان ولم يصدق عينيه: بدا ذلك كأنه خنزير! كان يفكر للتو في حياته، في تلك المصادفات التي أدت به كإبن لفلاحين نمساويين للعيش والعمل في بروكسل في الوقت الحالي، كان في حالة شعورية صورت له كل شيء خارج نطاق العقل وغريب، إلا أن خنزيرا يركض مطلق السراح هناك بالأسفل في الميدان كان أمراً جنونياً زائداً عن الحد، لا يعدو كونه مزحة من نسج خياله، انعكاساً لذكرياته! مد بصره إلا أنه لم يعد يرى الخنزير.

ركض الخنزير صوب كنيسة سانت-كاترين، عبر شارع سانت-كاترين، توقف إلى اليسار متفاديا السائحين الخارجين من الكنيسة، جرى عابرا الكنيسة إلى كوا أوه بريك، ضحك السائحون، اعتبروا الحيوان المضطرب، الموشك بالفعل على الانهيار فولكلورا/ فنا شعبيا، ظاهرة ما من الظواهر المحلية، يمكن أن يقوم بعضهم لاحقا بالبحث في دليل الرحلات إن كان هناك تفسير لوجودها، ألا يتم إطلاق ثيران عبر الشوارع في مدينة بامبلونا الإسبانية في يوم احتفالي ما؟ ربما يحدث ذلك في بروكسل مع الخنازير؟ عندما يعايش المرء ما لا يمكن استيعابه حيث لا يتوقع أبدا أن يفهم كل شيء - لكم تكون الحياة حينها مثيرة للمرح.

في تلك اللحظة انعطف جودة مصطفى عند ناصية الشارع وكاد أن يصطدم بالخنزير، كاد؟ بل ألم يلمسه حقا، يحتك بساقه؟ خنزير؟ قفز جودة مصطفى من الذعر إلى جانب الطريق، فقد توازنه وسقط أرضا، رقد الآن في بقعة ماء، أخذ يتقلب فيها، مما زاد الطين بلة/ الأمر سوءا، إلا أنه لم

يكن وسخ الماء المتراكم، لقد كان الاحتكاك - إن كان هناك احتكاك من الأصل - بالحيوان النجس هو ما جعله يشعر بالاتساخ.

هنا أبصر يدا تمتد إليه في الأسفل، رأى وجه رجل يكبره سناً، وجهاً حزيناً، مهموماً، مبللا بمياه الأمطار، بدا الرجل المسن يبكي، كان ذلك هو البروفيسور ألوا إيرهارد، لم يميز جودة مصطفى ما قال، ميز/ سمع فقط كلمة: "okay".

Okay! Okay!، قال جودة مصطفى.

استكمل البروفيسور إيرهارد حديثه باللغة الإنجليزية، ذكر أنه هو أيضا قد سقط اليوم بالفعل، إلا أنه كان مرتبكا لدرجة أنه قال "failed" بدلا من "fell" ، لم يفهمه جودة مصطفى فعاود قول: Okay!.

في تلك اللحظة جاء الضوء الأزرق، النجدة، شرطة، تبدل الميدان بأكمله، أومض، غرق في الضوء الأزرق، أسرعت عربات المهام وهي تعوي إلى فندق أطلس، تواطأت سماء بروكسل: هطلت الأمطار، بدت السماء الآن تمطر قطرات ماء براقة بلون أزرق، بالإضافة إلى ذلك حلت الآن رياح دافعة قوية – نزعت مظلات بعض المارة إلى أعلى وقلبتها رأسا على عقب، أمسك جودة مصطفى بيد بروفيسور إيرهارد، تركه يساعده على النهوض، كان أبوه قد حذره من أوربا.